نقوش النّعال

للشيخ السيد

محمّد الشّريف الحسني قدس الله سرّه

برعاية

المجلس الصوفي لدراسة الشؤون المحمّدية

بِسْمِ اللّهِ الّرحمنِ الرّحيمِ

الحمد لله والصّلاة والسّلام على سيد الوجود وعلى آله وصحبه وسلّم

﴿ نقش القدم ﴾

أنقطةٌ مِن سُجوفِ العماءِ انفلقَتْ ، أمْ دُرّةٌ مِن صُدُوفِ الكنوزِ انْفَتَقَتْ ، سبحانَ قدَمِ الأنا إذا ادَّلى ، فلهُ الهَيمَنَةُ والكِبرِياءُ في الآزالِ والنِّزالِ .

وما يُدريكَ مِمّا كانَ ، ولا متى كان ، ولا أين كان ، ولا أين يكون ، ولا فيما سيكون ، فمن يُدريك مَن يَكُونُ ..

كان مِن طَلْقَةِ الهاهُوتِ حيثُ لا كُن ولا يكون ، وهو الآنَ على ما عليه كان ، ولا إمكانُ ، وإلى الأبدِ سَيظلّ في الآحاد ، فما يُدريك حالَئِذٍ مَن يكونُ ..

البَحثُ والجردُ والمحالُ والإعدامُ ، حضائرٌ مَحظورةٌ مَحذُورةٌ ، تَغْرُبُ في عَـينٍ عامِيَّةٍ ، وتَغِيبُ في سُرّةٍ غامِيّةٍ ، مالها مِن سبيلٍ ولا مِن دليلٍ ، مهامِهُ التِّيهِ ، وكَوانِهُ الضّلالِ ، وَجَبَ جُنُونُهَا ، وتحَتَّمَ كُفْرانُهَا .

ألَا إنَّ قُصورَ الوُجوبِ ، حرامٌ إلّا على اليَتِيمِ الأُمّيّ ، إلّا على مُهجةِ الذّاتِ ، إلّا على إنسانِ عَينِها ، إلّا على الحبيبِ ، وليس إلّا الحبيبُ ..

حارَ دَرْكُ الـــعَزْمِ في لَيلِ العَمَا	لَيسَ إلّا العَـجزُ يُـدرَى والعَمَى
ولازالَ الوَصْلُ في دَمْـسِ السَّحَرْ	خـالِيًا حيثُ صَلَـواتُ السَّـمَرْ
حيثُ أنَّ المُنْـتَهى عنــدَ النِّعالْ	وهْيَ عَـرْشٌ لاسْـــتِواءِ المُتَعالْ
حيثُ قالَ الشِّسْعُ لِلعِرفانِ مَــهْ	فَخَلِيقٌ أنَّــنِي أنْهَـــى بِــصَهْ

﴿ نقش الكنه ﴾

وإنْ سالَ سائِلُ بِكُنْهِ النَّعلُوتِ ، فإنّها المُبتدَى لَكِنَّها المُنتهى .

فهِي حضرةُ النِّعالِ : إبْنتُ سُلْطَةِ الأقدام ، حَفِيدَةُ جلالَةِ الجَسَدُوتِ .

وُلِدَتْ يَومَ النَّزلةِ الأُخرى ، عندَ سِدرةِ المُنتهى ، في شهرِ الرّبيعِ عامَ الأنوارِ ، في قبَّةِ القَداسَةِ ، ولازالتْ تَرْضَعُ مِن مَعينِ الحمدِ ، وتَتَرَعْرَعُ في حَضانَةِ الأعتابِ ، حتّى إذا بَلَغَتْ أشُدَّها واسْتَوتْ ، تَزَوَّجَتْ مِن القَدَمِ الأقْدَسِ ، فأنْجَبَتْ له رَيحانَتَينِ ، وما أدراك مَن هُما العَزْمُ والوَحى .

وبعدما أدّتِ الأمانَةَ إلى أهلِها ، إنْتقلَتْ إلى الرَّفيقِ الأعلى ، قابَ قَوسَينِ أوْ أدْنى ، فعَلَيها الصَّلاةُ والسَّلامُ ، ما تَخَلَّتْ تَتَدنّى أوْ تَجلّتْ تَتَدَلّى .

نَشْـهَــدُ أنّها الّتي تَجَلَّتْ بالمَشْرِقَــينِ بَعــدما تَخَلَّتْ
كانــتْ ولاتَــزالُ كالهُيُولى لِكَونِــنا مُنذُ الدُّهُورِ الأُولى
كــأنّها الهَباءُ لِلتَّــجَلّي إِيْــهِ وتِلكَ مُستَوى التَّدَلّي
هَـــيمَنَ مُـــلكُها على البَرايا مِــنَ البِــدايَــةِ إلى النّهايا

فأقدس بها عروس الوجود ، حريمة الأقدام بالخدور ؛ بديهة يحجبها الجمال ، ويصونها الجلال ، ويخدمها الكمال ، فتلك منهل القرآن ، ياذا الفرقان ، فاستعذ بنور فرقها ، وسمّ بسرّ جمعها ، ورتّل النّون من لوحها ترتيلا .

﴿ نقش الحس ﴾

النّعال ما النّعال وما أدراك ما النّعال ، إسم تزدريه الأفواه ، ولكم تهتزّ لمعناه الأرواح ، سيّما وقد زكّته قدم القداسة ، عن غيريّة الآثار ، فاصبغ بنورانيّة الأسرار ؛ ولا فنك فإنّ المجالس مجانس ، وثامنهم كلبهم .

هو نَعْلُ مَــن نَعْلُ مَن يَتَعَالى شِسْـعهُ فوقَ كلِّ مَجْدٍ مَقاما
ذاك شِسْعُ مَن شِسْعُ مَن يَتَرامى دُونَ أعتابِـهِ العُرُوشُ هِيَّاما
إنّ في ذلك لِــذِكرى لِمــن با تُوا مِنَ العِشْقِ سُجَّدًا وقِيّاما

زهرةٌ يَعشَقُها الخليلُ ، وسُبحةٌ يَخْطُبُها الكَلِيمُ ، ودُرَّةٌ يَغْبِطُها المسيحُ ..
فَسَلْ عنها الكُروبِيُّون ما خَطبُهُم في الهُيّام ، مَنذَا الّذي سَلَبَهُم ألبابَهُم ؟
وسلِ الكَظِيمَ يعقوبَ ما سِرُّ أسَفِهِ وشُجُونِهِ ؟
وسَلْ إمرأةَ العَزيزِ وصُوَيْحِباتِها ، مَن بِهِنّ مَن تَيَّمهُنّ ؟
فكَمْ أفاضَتْ بهجتُها مِن وِجدانٍ ، وكَم أثارَتْ دُعْجَتُها مِن أشجانٍ ، وكَم أنارتْ غُرّتُها مِن غُيُوبٍ ، وكَم أراعتْ عِزَّتُها مِن عُروشٍ ، وكَم تسامَتْ بِهِمَّتِها مِن بُروجٍ ، وكَم توارَت في مُهْجَتِها مِن خُدُورٍ ..
عَجَباً لِمن لَم يَسْتَنشِقْ عَبيرَ الأعتابِ ، كيفَ يَسْعَدُ ويَعِيشُ ، بلِ العَجَبُ مِمّن تَعَطّسَتْ مَشامُ وِجدانِهِ بأرِيجِ الوِّصالِ ، كيفَ يَبقى على قيدِ الحيّاةِ ، فكيفَ لا يَنجَذِبُ بكلياتهِ إلى مِغناطِيسِ تِلكَ المفاتِنِ غرامًا .

كُــؤُوسٌ وأُنــسٌ حُبُــورٌ حُضُورْ   وُصُــولٌ وبَسْــطٌ سُرُورٌ ونُورْ
رَبِيــعٌ وعُــرسٌ عُطُــورٌ زُهُــورْ   عُيُــونٌ وَحُسْــنٌ خُدُورٌ خُمُورْ
جَمَال النِّعَالِ لَطِيـفٌ أَنِيْسْ

فكم تروّت بغرامها قلوب ، وكم سكرت بزهرتها أرواح ، وكم اتّحدت بسرّتها أسرار ، معين السّعد والوجدان ، فالرّوح والرّيحان ، والحسن والإحسان ، فسل سبيلا إلى سلسبيل الوصال ، ولا ترضى ما دونها خليلا ، فأنت عبد من تهواه ، وكفى بك فخرا ، أن تضاف إلى سيّادة النّعال .

﴿نقش الجبروت﴾

إن قلت : عرش ، قالت : هو فرشي ؛ أوقلت : كرسيٌّ قالت : هو عتبتي ؛ أو قلت : حجاب ، قالت : هو خماري ؛ أو قلت : سدرة ، قالت : هي ظلالي ؛ أو قلت : كثيب ، قالت : هو غباري ؛ أو قلت : فردوس ، قالت هو فضلتي ؛ أو قلت : جحيم قالت : هو رمادي ؛ أو قلت : جبريل ، قالت هو مجنوني ؛ فقل سبحان الله ، عزّ منتهاها .
فالنّور النّور إن كنت من الشّاهدين ، والسّرّ السّرّ إن كنت من العارجين ، والكنز الكنز إن كنت من الواصلين ؛ فهاهي النّعل قد ادّلت ، فيا معشر العشّاق هل من مجيب .

فلا السِّرَ يُدنِيها ولا النُّورَ يُجلِيها   ولا السُّبحَ تُفـنِيها ولا الدَّهرَ يُبلِيها
أَلَيست بِوَصلِ العينِ تَرْفُلُ تالِيها   تَــقَدَّسَ مَن بالأحَمَدِيَّـــةِ يُعـلِيها
فما هيَ إلّا مِــنْ جـلالَةِ جاهِـهِ

إنّ في تلك اليّاقوتة المكنونة ، لآيات للوالجين ، فحيثما انتهوا إلى باب من قصرها ، تصدّى لهم حجاب من خدرها ، فظنوا أن لا دخول ولا وصول ، ولكن العجز عن الإدراك ، عين الإدراك ، فحيث لا سبيل سواها ، لزم الخضوع لها ، فكيف لا وهي المنتهى .

﴿نقش التّوحيد﴾

قلْ لِمن ما في الإمكانِ ، وقلْ مِمّنْ ما في الوُجُودِ ، وقلْ عَنْ مَن ما في البَرَايا ، فسَيقولُونَ للنّعالِ ، فأنَى يُوفَكُونَ.

وإنْ سَألتُكم عمَّ تَعْشَقُونَ ، ألَهُم أنوارٌ يَدَّثِرُونَ بها ، أمْ لهم أسرارٌ يَتَزَمّلُونَ بها ، أمْ لَهم كُنُوزٌ يَتَدَبّجُونَ بها ، أم لَهم أقدامٌ يَتَتَوَّجُون بها ، كَلّا وتِرِلْيُونَ لا .

فالتَأْتُوا بِبَدِيلٍ أوْ مَثِيلٍ لَها ، وسَتَسْجُدُ قُلُوبُنا لَهُ ، ولَكِنَّها الشّمسُ والآفاقُ بُدُورُ ، فَمَهْمَا إتّسعَتِ العُيونُ فالحواجِبُ فَوقَها ، وكلُّ الصَّيدِ في جَوْفِ الفِرا .

هُـداها وإلاّ فالمجَــالِي مَضَــلَّةٌ ... ولو أنّها غَيْــبٌ ولَــكنَّها تَهـدِي
عَـــاهاا وإلّا لا سَرِيـــرَةَ تَخْـتَـلِي ... ولوْ دَقَّـتِ الأرْقامُ عَنْ حِيطَةِ الحَدِّ
سَـناها وإلّا لا لَطِيْـــفَةَ تَنْـجَلِي ... ولوْ شَـعَّتِ الأنْوارُ غَيرُها لا تُبْدِي
أنـــاهَا وإلاّ فالفُتُــوحُ مَـلَابِـسٌ ... ولو كانـتِ الأقْطابُ في قَبْضَةِ اليَدِ
هِيَ الحُسْنُ لا لَوْمٌ على مَن يُرِيدُها ... هِيَ الوَصْلُ مِن بَيْنُونَةِ الصَّدِّ والضِّدِّ

فطُوبى طُوبى ، لِمن تَخَمّرَ بجمالِها ويابُشراهُ ، وَوَيلٌ لِمن تَجَرَّعَ مِن فِصالِها وياعَزاهُ ، إنّها الحسنُ فأينَ الغَرامُ ، إنّها الجمالُ فأينَ الهُيّامُ ، إنّها اللّطافَةُ فأينَ الصّبابَةُ ، إنّها الملاحَةُ فأين الخلابَةُ ، إنّها الفِردَوْسُ فأينَ الأشْواقُ ، إنّها الحُورُ فأينَ العُشّاقُ ، إنّها ليلى فأين الجُنُونُ ، إنّها القَمِيصُ فأينَ الشُّجُونُ ، إنّها هُوَ فأين أنا ، إنّها أنا فأينَ نَحنُ .

﴿ نقش العجز ﴾

سالَ سائِلٌ بِقُطبِ العجائِبِ وفَلَكِ الغَرائِبِ ، فقلتُ : اسْأَلْ بِهِ خَبيرًا .

سلْ بِهِ الحُجُبَ والسُّبُحاتِ السُّبُوحِيَّةَ ، وسَلِ الرّقّا والسُّقُوفَ العُلى ، وسل بِهِ السِّدرَةَ وعُرُوشَ الإستِواءِ ، وسلْ قافًا والمَعْمُورَ والمُحِيطَ ، لعلّهم يَعْلَمُونَ .

فِتِلكَ الشّمسُ لولا الغُروبُ ، وهِيَ البَدْرُ لولا الخُسُوفُ ، وهي البَحْرُ لولا النّفادُ ، وهي الفِرْدَوْسُ بل هي منبعُهُ ، وهي الكَثِيبُ بل هي عينُهُ ، حقًّا هيَ الوَسِيلَةُ العُظمى .

فسبحانَ سِرِّها الأقدَسِ الألْبَسِ ، الّذي تَضِلُّ خُبراءُ الغُيُوبِ في مَهامِهِ بَوادِيهِ ، والّذي تَعْجِزُ بصائِرُ الشُّهُودِ ، عَن كِفاحِ إشْراقاتِ مَجالِيهِ ، والّذي تَحارُ مَدارِكُ الإطلاقِ عنْ الحيطَةِ والهَيمَنَةِ بِمعالِيهِ ، والّذي تَقْصُر بَوارِقُ مَعارِجِ المدارِجِ، عن بُلُوغِ غايَتِهِ ، والإسْتِواءِ على مَناهِيهِ ..

أَوَلا يَكْـفِي في الـتّعالِ ويَشْفِي ... أنّهـا لـلأقـــدامِ تلك ابْتِداءُ
ومـــا يُدْرِينا مـــا هِيَ الأقدامُ ... ليس يُجدِي هـنا النُّهى والدَّهاءُ
فـاسْألُوا المُنتهى عـنِ التّعلُوتِ ... لَــيقولَــنَّ إنّهـا الإنْتِهـــاءُ
تَـتخلّى بِـغَيْهَبِ الــبَدَهُوتِ ... حيـثُ لا مَــعْلَمٌ ولا أنْـباءُ
لِـتَقُولَ للذَّرِّ هلْ مِن مُجاري ... هلْ في مَـيدانِكُم لـنا نُظراءُ

﴿ نقش التتويج ﴾

عيَّرُوني بِعِشْقِها ، وقالوا ما هي إلّا نعالُ ؛ فقلْتُ وما ضابِطُ الوِجدانُ عِندَكُم ؟
فقالُوا الجمالُ ؛ فقلتُ : هِي هالَةُ بَدْرِهِ .
فقالوا والكمالُ ؛ فقلتُ : هيَ عَرْشُ اسْتِواءِهِ .
فقالوا والحياةُ ؛ قلتُ : ومايَنْفَعِ البهائمَ شُعُورُها .
ثمّ قالوا والحِجا ؛ فقلتُ : وما يَنْفَعِ الكُفّارَ عُقُولُها ، أوَلَيسَ شِسْعُ نَعْلِ المؤمِنِ أفضلُ مِن كلِّ مَن في النّارِ ؛ فما البالُ بِشِسْعِ نعلِ الحبيب ﷺ ، أليسَتْ بأفضلَ مِن أهالي الكَثِيبِ ، بلى بلى بلى .. فلا جَرَمَ أنّها الوَسِيلَةُ وَكفى .

لَئِن ذُقتَ ما ذُقناهُ ماكنتَ ناكِرًا   لَصِرْتَ على الأعتابِ مِثلِي مُجاهِرًا
وظَلْتَ بِصَهْباءِ النِّعالِ مُخامِرًا   فتَغْدُوا وتُمْسِي ثامِلًا ومُسامِرًا
وتَجْنَى جُنونًا لا يُقارَنُ بالبَلْهِ
مُحيّاها جَذّابٌ إذا أسْفَرَتْ بِهِ   تَحِنُ إليهِ الرُّوحُ شَغْفاً لِشُربِهِ
فلو زال عن قَلبِي كَثِيفُ حِجابِهِ   لَهِمتُ بِلا لُبِّ أتِيهِ بِحُبِّهِ
أَعِيشُ وَحِيدًا في الفَيافِي المَهامِهِ

﴿ نقش الغاية ﴾

فكفانَا بها شَرفًا يا أمَّتي ولا فَخْرَ ، فتِيهُوا بها واشطَحُوا ولا فَخْرَ ، و قولُوا إنّنا عَبِيدُ النّعالِ ولا فخرَ ، وإنَّما العِزّةُ بالمولى ، والفَرَحُ بفَضْلِ اللهِ وبرحمَتِهِ .
فاللّهمّ لَكَ الحمدُ على نُزُولِها ، اللّهمّ وافْتَحْ لنا باسْتِواءِها ، اللّهمّ واقْبِضْنا على غرامِها ، واحْشُرنا اللّهمّ على أقدامِها ، اللّهمّ وإنّنا لا نَرضى بها بدِيلًا ، في الدّنيا ولا في الآخِرةِ ، ولا في الفِردَوسِ ولا في الكُثبانِ .

كلُّ قيسٍ له بِلَيلاهُ عِيدُ   ولنا بالنّعالِ عِيدٌ سَعِيدُ
ما نَرى العيدَ إلّا أُنسُ الوّصالِ   لَثْمَةٌ للنّعالِ عُرسٌ وعِيدُ
فيا بُؤسًا لِلعِيدِ إنْ طالَ حَوْلًا   عِيدُنا بالنّعالِ دَوْمًا جَدِيدُ

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا ومولانا رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم